(استقبالُ شهر رمضان المبارك)

الحمدُ للهِ الذي جعل مواسمَ الخير رحمةً لعباده، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

إن من أعظم نعم الله على عباده، أن جعل لهم مواسم للطاعات، تتضاعف فيها الحسنات، وتتنزل فيها الرحمات، وتستجاب فيها الدعوات، وتكفر فيها الذنوب والسيئات، ومن هذه المواسم المباركة مانحن مقبلون عليه من أيام مباركة وليال فاضلة، من أيام شهر رمضان، شهر الخيرات والبركات والنفحات، شهر تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتصفد فيه الشياطين ومردة الجن، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم، شهر فرض الله فيه الصيام، وأنزل فيه القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: 183]، وقال ﷺ (مَن صامَ رَمَضانَ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ).

إن الصيام عبادة من أجل العبادات، وقربة من أجل القربات، هذه العبادة تطهر النفوس، وتزكي القلوب، وتهذب الأقوال والأفعال، هذه العبادة أعد الله لأهلها أجرا عظيما نسبه إليه فقال ﷻ في الحديث القدسي: (كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلا الصومَ، فإنه لي وأنا أجزي به)، بل لقد جعل الله للصائمين بابا خاصا بهم يدخلون منه الجنة يوم القيامة، فيقول ﷺ (إنَّ في الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ له: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ منه الصَّائِمُونَ يَومَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: أيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لا يَدْخُلُ منه أحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ).

ولذا فإنه ينبغي علينا، أن نستقبل هذا الشهر الكريم، وهذا الضيف العزيز، استقبالا يليق بمكانته العالية، ومنزلته الرفيعة، وهذا يتحقق من خلال ما يلي:

أولا: نستقبل شهر رمضان بالفرح والسرور والدعاء:

قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58]، لقد كان النبي ﷺ إذا هبت نسائم شهر رمضان المبارك، يشيع البشر وينشر البهجة والسرور، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان فيقول ﷺ (قدْ جاءَكمْ شهرُ رمضانَ، شهرٌ مباركٌ

افترضَ اللهُ عليكُمْ صيامَهُ، يفتحُ فيهِ أبوابُ الجنةِ، ويغلقُ فيهِ أبوابُ الجحيمِ، وتغلُّ فيهِ الشياطينُ، فيهِ ليلةٌ خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ، مَنْ حُرِمَ خيرَها فقدْ حرِمَ).

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يفرحون فرحا شديدا بقدوم هذا الشهر الكريم، بل كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أخرى أن يتقبله منهم، وكان من دعائهم " اللهم سلمنا لرمضان وسلم رمضان الينا وتسلمه منا متقبلا " فكأنهم يعيشون حياتهم طوال العام في رحاب رمضان، يفرحون بقدومه، ويستعدون لاغتنامه، فيستقبلونه بالدعاء والعبادة، ويودعونه بالذكر والطاعة.

ثانيا: نستقبل رمضان بتوبة خالصة صادقة:

نعم، نستقبل رمضان بقلوبٍ راجعةٍ إلى الله، نادمةٍ على التقصير، عازمةٍ على الاستقامة، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[التحريم: 8]، فمهما أسرف العبد في المعاصي ومهما عظمت ذنوبه، فأمامه فرصة حقيقية بقدوم شهر التوبة والمغفرة فلا يضيعها، يقول سبحانه: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر: 53]، وكان النبي ﷺ، وهو المعصوم ﷺ، يقول:(يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة)، هذا حال النبي ﷺ فكيف حالنا ونحن أهل الذنوب والتقصير؟!.

ثالثًا: نستقبل رمضان بسلامة الصدر وحسن الخلق:

فنُطهِّر قلوبنا من الحقد والحسد، ونعفو عمن ظلمنا، ونصل من قطعنا، لأن العبادة لا تثمر مع القلوب المريضة، قال ﷺ:(تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فيغفر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء)، فيا من تلتمس المغفرة في رمضان، أصلح ما بينك وبين الناس.

رابعًا: نستقبل رمضان بعزمٍ صادق على تحقيق الغاية من الصيام:

والغاية من الصيام بيّنها الله في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، فليست الغاية من الصيام الامتناع عن الطعام والشراب فحسب، بل الصيام الحق صيام الجوارح عن الحرام، فقد قال ﷺ:(والصِّيَامُ جُنَّةٌ، وإِذَا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ ولَا يَصْخَبْ، فإنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ)، وقال ﷺ:(من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).

وكان جابر رضى الله عنه يقول: (إذا صمت فليصم سمعك وبصرك، ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء).

خامسا: نستقبل رمضان بالحياة في رحاب القرآن الكريم قراءة وتدبرا وعملا:

فرمضان شهر القرآن، نزل فيه، ويُتلى فيه، ويُفهم فيه، ويُعمل به، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185]، ويقول ﷺ: (الصيامُ والقرآنُ يَشْفَعانِ للعبد)، وعن أبي هريرةرضى الله عنه قال: (كان جبريل يعرض على النبيّ ﷺ القرآن كلّ عام مرّة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قُبض فيه).

إن أعظم خسارة، أن يُدرك العبد رمضان ثم يخرج منه كما دخل، لم يُغفر له، ولم يتغير حاله، قال ﷺ:(رغم أنف رجل أدرك رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له).

فاجعلوا من رمضان نقطة تحوّل، من الغفلة إلى الذكر، ومن الذنب إلى التوبة، ومن التقصير إلى الاستقامة، وأكثروا من قيام الليل، فقد قال ﷺ: (من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه)، سابقوا إلى الخيرات، فإن الأعمار قصيرة، والمواسم تمضي سريعًا، والله يقول: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [سورة البقرة: 148].

اللهم بلغنا رمضان، ووفقنا فيه للصيام والقيام وصالح الأعمال، واجعلنا فيه من المقبولين الفائزين،

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه فضيلة الشيخ / محمد محمود محمود العدل مبعوث وزارة الأوقاف المصرية إلى البرازيل

.